الدرر المقدسية
منبر فلسطين للعلم والدعوة والتربية

مجلة الدرر المقدسية

مجلة دعوية تربوية، تصدر شهرياً عن مؤسسة الدرر المقدسية | العدد (35) - كانون الثاني يناير 2025م

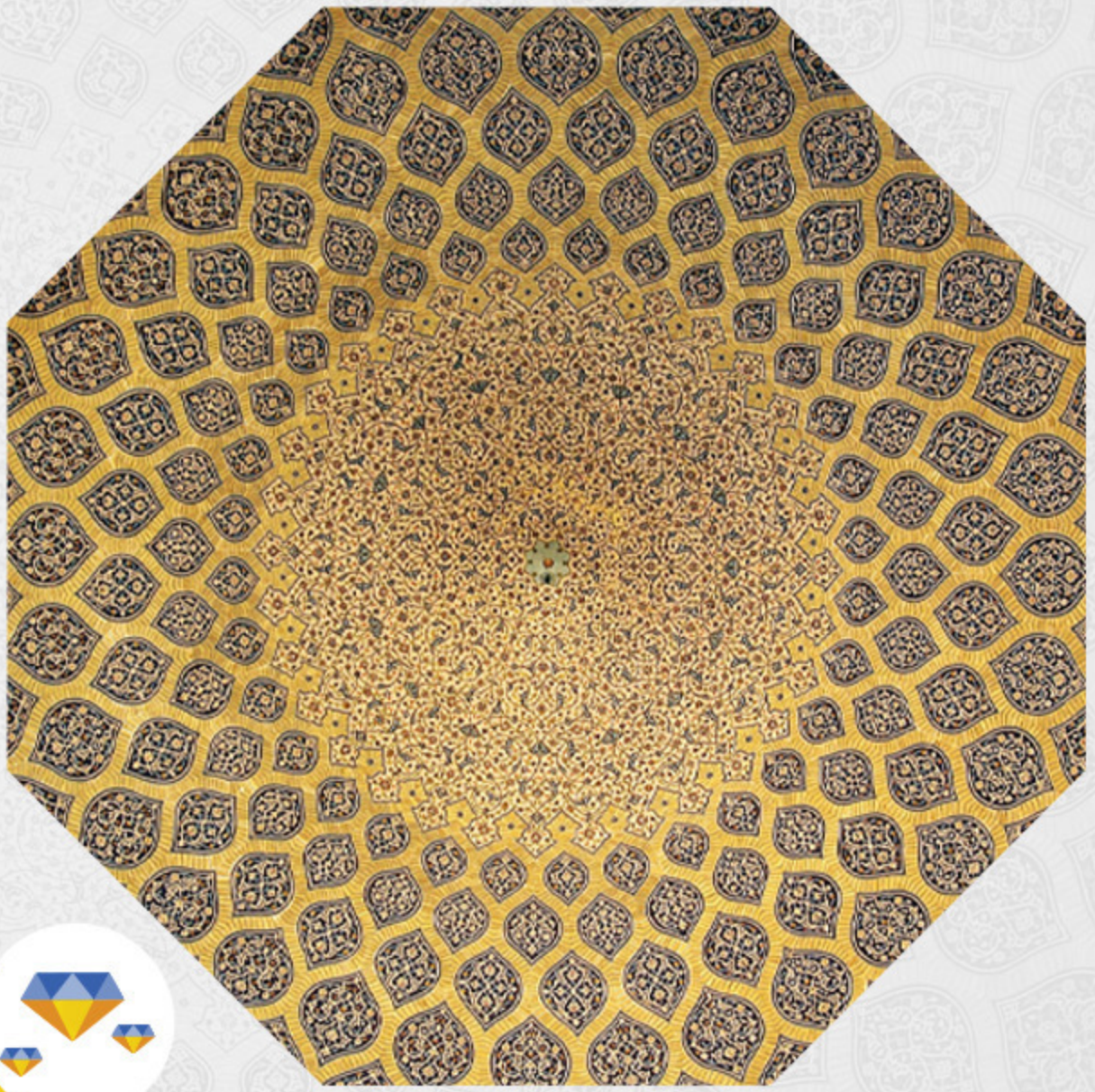

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا
أ.د. هيثم خزنة

دور علماء الأمة في مواجهة الظلم
د. طلب أبو صبيح

لا حياد بين الحق والباطل
أ. زياد عبد الله طروه

الصمت عن الظلم مشاركة فيه
أ. مسعود ريان

بَينَ الإفكِ والعَـصـا
أ. يوسف الفقهاء

الفهرس

الفهـــــرس.....01

الافتتاحيـــــة 02

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا، أ.د. هيثم خزنة.....03

الصمت عن الظلم مشاركة فيه، أ. مسعود ريان.....04

عبد مأمور.. سردية المأجورين الخاسرة، أ. لمى خاطر 05

لا حياد بين الحق والباطل، أ. زياد عبد الله طروه 06

بَينَ الإفكِ والعَـصـا، أ. يوسف الفقهاء 08

دور علماء الأمة في مواجهة الظلم، د. طلب عبد الفتاح أبو صبيح 09

انصُرْ أَخاكَ مظلُومَاً، أ. حسن عبد الله معتوق 10

الدين المعاملة، أ.ثائر عبد المجيد أبو خرمه.....12

قصيدة بعنوان (غزة... طوفان هادر)، أ, مصطفى عمارنة 14

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

الإخوة والأخوات قراء مجلتنا الغراء... تحية طيبة نبرقها لكم، في بداية هذا العام الجديد، الذي نسأل الله عز وجل، أن يكون عام نصر لقضيتنا، وفرج لأهلنا وأحبابنا في فلسطين كافة، وفي غزة بالأخص، ويسعدنا، أن يستمر عطاؤنا معكم، وأن نبقى نطل عليكم كل شهر، من خلال مجلتكم الرائدة، "مجلة الدرر المقدسية"، هذه المجلة التي ما زالت منذ سنوات، تسير بخطى ثابتة، نحو هدف، عظيم، ومنشود، وهو نشر الفكر السليم، والعقيدة الصحيحة، والإيمان الحق، ففي كل عدد نحلق لكم في فضاءات الكلمات، ونحوم بين النجوم والأفلاك لننتقي أجمل العبارات، وأطيب الجمل، وأعذب الأفكار وأروعها، ونغلفها بغلاف المحبة والمودة، لتصل لكم طيبة مباركة، كما خطها، كتابنا الكرام وعلماؤنا الأجلاء الذين ما بخلوا يوما، ولا ضنوا بفكرة أو مقال.

الإخوة والأخوات.. إن صلاح المجتمع، وقوته، تكمن في ترابط العلاقات التي تربط أفراده، وتحكمهم، ولعل من أبرز هذه العلاقات، نصرة المظلوم، ومساعدة الضعيف، ومساندة المحتاج، وعدم مجاراة الظالم في ظلمه، فهي أساس من أسس هذا الدين العظيم، فلا يسمى المسلم مسلما إلا إذا وقف مع إخوانه المسلمين، وساندهم، وكان درعا حصينا يحميهم، وكان سيفا مشهرا ضد أعدائهم، لذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم، نصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، وفك العاني، من الأعمال التي يثاب عليها الإنسان، ونحن في فلسطين، نعاني ما نعاني من ظلم، امتد واتسع من سنوات طويلة؛ إذ تخلى عنا الكثيرون مخالفين بذلك تعاليم هذا الدين، ومنتهكين حرمة من حرماته، ولكننا على يقين تام، أن الله سبحانه وتعالى لن يخذلنا، فهو الذي وعد بنصرة المظلوم ولو بعد حين، لأن هذه النصرة، وهذه المساندة، ليست سنة، بل هي واجب، من واجبات الحياة، وحق من حق الأخوة، التي أرادها الإسلام، لذلك يا أيها الأحبة، ما أعظم، أن نقف مع بعضنا! وأن ننصر أخانا ظالما أو مظلوما! ما أجمل، أن نقول للظالم، قف، ولنحذر كل الحذر أن نكون في صف الظالم، ونعينه، بكلمة، أو بفعل، أو حتى بسكوت، فالوقوف في وجهه هو من أعظم الأعمال وأجلها، أما أولئك الذين اختاروا، أن يكونوا في صف الظلمة، وأن يكونوا من أعوانهم، فليعلموا أن هؤلاء، سيتبرؤون منهم في الآخرة وفي الدنيا، كذا التاريخ والحاضر شاهدان على هذا الكلام، والقرآن قبل ذلك، حكى هذا، فقال: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}. فإياك أيها الحبيب، أن تكون مساندا لظالم ولو بسكوت، أو بشطر كلمة، بل عليك أن تنال شرف الوقوف مع المظلوم، ومساعدة المحتاج، لتجد الله معك، ويظلك في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا

أ.د. هيثم خزنة
أستاذ الاقتصاد الإسلامي في جامعة صباح الدين زعيم – تركيا

أعدّ الله تعالى للظالمين يوم القيامة ألوانًا من العذاب والهوان، حتى ليُأْتى بأحدهم يوم القيامة، وهو مِنْ أَنْعَمِ أهل الدُّنيا، فيَأْمُرُ اللهُ تعالى أن يُغمسَ الظالمُ غمسةً في النار بمقدار طرفة عين، ثم يسأله الله تعالى بعدها: هل أصابَكَ نعيمٌ قطُّ؟ هل رأيت سرورًا قط؟ فيُقسم الظالم صادقًا في ظنه قائلا: "وعزتك وجلالك يا رب ما أصابني نعيم قط، ولا رأيت سرورًا قط".

أذهلته تلك الغمسة عن كل نعيم وسرور ناله في الدنيا، من هول ما رأى، فكيف بما بعدها!.

ومن كمال عدل الله تعالى وتمام قسطه أن لا يقتصر هذا العذاب على الظالمين، فألحق بهم أعوانهم، بل امتد العذاب والهوان إلى الذين رضوا بظلم هؤلاء، وإن لم يقترفوا شيئا، ولم يشاركوا بشيء من أعمال الظلم ، إذ ما كان للظالمين أن يستفحل أمرهم، وتشتد قوتهم في الظلم إلا بأعوانهم، وبرضى جمع من الناس صفقوا وهللوا وأثنوا على الظالمين رغم شيوع ظلمهم وطغيانهم.

ما كان للظالمين أن يتمادوا في ظلمهم، وما كان للطغاة أن يبطشوا بشعوبهم، ويضيعوا ثروات الأمة ويرهنوها لأعدائها، لولا رضى جمع من الناس بأفعال هؤلاء الطغاة، فمدحوهم بما ليس فيهم تزلفًا وتقربًا، أو وقفوا لهم على جوانب الطرق مستبشرين مهللين برؤيتهم، أو أثنوا على شيء من صنائعهم، أو عظّموا ذِكْرَهم، أو مالت قلوبهم إليهم رضى بهم أو بشيء من أفعالهم حتى ظهر ذلك على جوارحهم، فبهذا كله ازداد الطغاة زَهْوًا وعُجْبًا، وقوة وتَمَكُّنًا، فازدادوا ظلمًا وبطشًا.

والعجب كلُّ العجب أن تبيع هذه الفئة آخرتها بدنيا غيرها، فالظالمون تنعموا بالدنيا الزائلة وتركوا الآخرة الباقية، فكانت تلك حماقة، أما تلك الفئة، فكانت أشد حماقة وشقاء، إذ كانت ترجو بهذا الميل رضى الظالمين وتحصيل شيء من متع الدنيا، لكن لا ينال جُلُّهم ما يرجون.

وإذا سأل هؤلاء الراكنون المداهنون: لم هذا الضنك؟، لم هذا التيه؟، لم هذا الصغار والذل؟ يأتي الجواب من الله تعالى: إنه عقاب دنيوي معجل فضلا عن العقاب الأخروي المؤجل: "وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ"، فيَكِلُكم الله تعالى إلى أنفسكم، فلا عونٌ منه تعالى ولا عون من أوليائه.

فيا من رَكَنْتُم إلى الظالمين، أبشروا بعذاب أخروي، فيمسكم بعض عذاب الظالمين أنفسهم، وأبشروا بعذاب دنيوي وهو ضنك العيش والتيه والهوان، ولذا، لا بد من المفاصلة بيننا وبين الظالمين، ولا بد من إنكار ظلمهم ولو بالقلب، إن عجزنا عن رده باليد واللسان، أما الانكفاء وعدم الاكتراث وعدم الانفعال على الظلم الواقع، فأمره خطير، إذ يدفع ذلك إلى تسويغ الظلم والرضى به وإيجاد مبرراته حتى يدفع المنكفئ عن نفسه صفة اللامبالاة، وحينئذ يقع المحظور والخطر العظيم.

فمن لم ينكر الظلم ولو في قلبه -وهو أضعف الإيمان-، فليس بعد ذلك مثقال ذرة من إيمان؛ لأن عدم إنكار الظلم في القلب ليس بعده إلا الرضى به والميل إليه.

وليس أدلُّ على عظم خطر هذه الآية ما ورد أنها عَجَّلَت الشيبَ في رأس الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، حيث قال حينما سُئِل عن سبب تسارع الشيب في شعره صلى الله عليه وسلم: "شَيَّبَتْني هود وأخواتها".

فكانت لسورة هود -ومنها هذه الآية- وقعٌ شديد على نفس المصطفى، إذ هو رؤوف رحيم بالأمة، مشفقٌ عليها من عذاب الله تعالى الذي لن يقتصر على الظالمين وأعوانهم، بل يتعدى إلى كلّ من مال بقلبه إليهم، ورضي بأعمالهم، ولو بأدنى ظلم، أو أدنى ميل ورضى، وإن لم يظلم أحدًا بفعله مباشرة أو تسببًا.

اللهم اجعلنا في دعوة كليمك موسى عليه السلام:

"رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ"

الصمت عن الظلم مشاركة فيه

أ. مسعود ريان
ماجستير في الدراسات الاسلامية المعاصرة – ومدرس وخطيب

وقفت حائرا، حزينا، في قلبي بركان يكاد يتفجر، ثم أصبت بالذهول وأنا أسمع وأرى طفلة في غزة هاشم شردت، ثم جوعت، وفقدت أحبتها وهي تقول للمذيع: سأقول يوم القيامة لربي أن لا يسامح من خذل غزة، نعم خذلها وتركها تجوع وتموت، فقد قتل المحتل المرأة والطفل والشيخ، ثم قتل المسعف والطبيب، وبعدها قتل الصحفي والمصور الذي ينقل الجرائم على الهواء مباشرة، وما حرك مواجعي وآلامي قول المرأة يوم القيامة سأشتكي للرحمن كل من خذلنا ولم يقدم لنا الدعم والمساندة، هنا تعجبت وسألت: هل كانت المرأة والطفلة تدركان أن الله يعذب الظالم والساكت عن الظلم؟ وأجبت مقتنعا أنهما تدركان؛ لأن الأمر واضح وضوح الشمس، والجهل بالأمر لا يعفي من المساءلة والمسؤولية، فالبعض يتوهم أن الله يعاقب الظالم ومن سانده فقط ، وأن العقاب لا يطال من سكت أو من تخاذل، خاصة لمن قدر على المساعدة، ولعل صاحب هذا الرأي يستند إلى قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لكنه يجهل أن السكوت في حد ذاته وزر.

ألم يسمع المتقاعسون والمتخاذلون قول الله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) [الأنفال: ٢٥]، قال ابن عباس:" أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم العذاب". ويؤيد ذلك ما ورد في صحيح مسلم عن زينب بنت جحش أنها سألت النبي عليه السلام، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال:" نعم إذا كثر الخبث"، وفي صحيح الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم:" أن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده". والكل يعلم حديث السفينة أن ركابها في الأسفل أرادوا خرقها ليشربوا، ولا يؤذوا من فوقهم، قال:" إن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا".

إذن المسؤولية الجماعية قيمة عظيمة جسدها الإسلام في الأمة كفكرة ومبدأ أساسي أصيل، تربى عليه صحابة رسول الله، فحرصوا أن يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

كيف لا وقد علمهم رسول الله :" أن المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه ولا يخذله"، وقوله: المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم".

لا عذر لساكت على خذلان أهلنا في غزة خصوصا وفلسطين عموما، ولا حجة لساكت على عجز القادة وعدم تحركهم لنصرة المستضعفين، أيعقل أن تكون المرأة والطفلة المكلومة في غزة قد أدركت أن نصرة المستضعف وإغاثة الملهوف والمكلوم والجريح والضعيف واجبة شرعا وهي تقول: سأقول لربي يوم القيامة أن لا يسامحهم، والأخرى تقول سأشتكي لخالقي كل من خذلنا، ولم تدرك الشعوب كلها هذا المعنى؟! أيعقل أن الشعوب وصل بها الضعف والخوف درجة يرون فيها الكلاب والقطط تأكل أجساد شهداء غزة ولا يتحركون، ما عذر المسؤولين والقادة وأهل القوة؟ وما عذر علماء السلاطين الذين بلغ بهم الاستهتار حد القول: إننا مطالبون بفقه التنزه عن البول، وسنسأل عنه، أما فقه الجهاد والرباط والإعداد فلسنا مطالبين به، وهم يقرؤون في صلاتهم قوله تعالى:" وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر"، ألا يخاف الساكتون عن نصرة المستضعفين من دعوة المظلوم التي قال عنها الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم:"اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب".

ألم يقرأ علماء السلطان عن حلف الفضول قبل الإسلام، إذ تداعى قادة مكة وزعماء قبائلها على نصرة المظلوم، كيف لا، وقد قال عنه صلى الله عليه وسلم:" لقد شهدت حلفا في دار ابن جدعان لو دعيت لمثله في الإسلام لأجبت"، أم أن أهلنا في فلسطين ولبنان ليسوا مظلومين؟؟ ربما بلغ الأمر عندهم حد التكبر عن الحق والعمل على تغيير قيم الإسلام ومبادئ الدين.

ماذا سيقولون لرب العالمين؟ لا حجة لأحد وكل محاسب حسب طاقته وقدرته وحدود مسؤولياته، ولو أنهم استندوا إلى شعوبهم واستمدوا المشروعية من الأمة، لما استقوى عليهم الأعداء، ولما استهتروا بهم لهذه الدرجة، وليعلم القادة والعلماء والعامة أيضا أن ثمن السكوت عن نصرة الضعيف والمظلوم كبير وخطير، وسيطال الجميع في الدنيا قبل الآخرة قال الله تعالى:"وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم"، لذلك علينا أن ندفع ثمن السعي لطلب العزة والحرية والكرامة، ولنعش أحرارا ولنمت واقفين، بدلا من أن ندفع ثمن الخنوع والعبودية ونموت عاجزين خانعين.

عبد مأمور.. سردية المأجورين الخاسرة

أ. لمى خاطر
كاتبة وناشطة مجتمعيـــة

في قوله تعالى: "إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا، وَرَأَوُا الْعَذابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا: لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ، وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ" (البقرة 166 – 167)

يرسم النصّ القرآني في هذه الآية مشهداً يصور فيه الحال الذي سيكون عليه أمر تابعي المجرمين والضالين والظالمين في الآخرة، وكيف أن المتبوعين الذين ما كان لهم أن يتمكنوا في الدنيا إلا بجنودهم وأدواتهم التنفيذية، سينقلب حالهم للبراءة من تابعيهم والتخلي عنهم، وكيف أن الحسرة ستكون من نصيب أدواتهم والتمني العبثي بالرجوع إلى الدنيا للبراءة من سادتهم، ثم كيف أنّ العذاب سيكون مصير التابعين والمتبوعين على حد سواء، ولن ينفع أحداً من منظومة الطغيان هذه، مهما كان دوره فيها، أن يتعلل بالندم أو يظهر الحسرة، أو يقول إنه كان مجرد عبد مأمور، يفعل ما يطلبه منه الطغاة.

هذا مشهد ناطق بالحياة، يخبر منظومة الطغيان في كل زمان ومكان كيف سيكون حالها في الآخرة، بماذا ستتعلل وكيف ستتحسر على ماضيها، ثم كيف سيكون عقابها، لكن الطغاة وجنودهم لا يعتبرون، سواء أكانوا من أئمة الكفر والصد عن سبيل الله، أم كانوا من المجرمين والظالمين، وهم في تمسكهم بغيّهم وطغيانهم يحسبون أن الدنيا قد تذللت لهم وأنهم مخلدون فيها، وأن سنة الله العادلة لن تجري عليهم، في الدنيا أو في الآخرة، أو في كليهما معا.

وإن كانت منظومة الطغيان تستهين بحتمية خنوع الكافرين والظالمين والمتجبرين يوم الحساب، وتعدّه يوماً بعيداً وإن آمنت به، إلا أنّ هناك تجليّاً آخر لنذالة واستكبار هذا الصنف من البشر، وهي تبرير أفعالهم وهم في الحياة الدنيا وقبل يوم الحساب، حين يجري على لسان كثير منهم أو من ذويهم تعبير (ما أنا إلا عبد مأمور)، ويحسب الواحد منهم أن تنفيذه أوامر مشغليه مهما بلغ قدر جرمها أمر لا حرج فيه أو أن حسابه في رقبة الآمر وليس المنفّذ، وهذه الفرضية لا تنطق بالجهل والتيه فقـــــــط، بل تستبطن قدراً كبيراً من الاستخفاف بالمظلومين ومحاولة استغفال عامة الناس وإثارة استعطافهم مع المجرم الجاني إذا ما حانت لحظة محاسبته، أو احتاج لتمتين حضوره وقبوله داخل مجتمعه، دون أن تلاحقه مواقف الإدانة.

ولو أن المجتمع على علم ووعي كبيرين بسقوط حجة (العبد المأمور) وبكونها لا تغني عن صاحبها شيئاً ولا تشفع له أو تبرر جرائمه أو تعفيه من الحساب عليها، لما تجرّأ هؤلاء إلى هذا الحد في جرائمهم ولما استسهلوا تنفيذها، ولما تطور الأمر إلى تبرير الخيانة وتزيينها أمام الناس، كما يجري مع الذين امتهنوا ملاحقة المجاهدين في فلسطين والولوغ في دمهم، مستندين إلى تبريرات سقيمة باطلة، وإلى جيش من العبيد المأمورين بالباطل، المطمئنين إلى تسامح المجتمع معهم، واستثقال المفاصلة مع كل من ينال المؤمنين بأذاه، أو يشي بهم، أو يساهم في ملاحقة المجاهدين والأحرار واعتقالهم وتعذيبهم، وصولاً إلى سفك دمهم.

لذلك كله ينبغي التبصير بحقيقة الحكم الإلهي على أدوات الطواغيت وجنود الظالمين، والآيات في كتاب الله كثيرة في هذا المجال، منها قوله تعالى في فرعون وجنوده: "فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا" (الإسراء - 103)، وكذلك: "إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ" (القصص – 8)

هذا الحكم الإلهي القاطع يلزم الناس جميعاً وعلى رأسهم الدعاة والمفكرون بأن ينبهوا الناس إلى خطيئة أدوات الطواغيت، وإلى ضرورة نبذهم والمفاصلة معهم، لأن التهاون معهم والإصغاء إلى تبريراتهم سيغريهم بالتمادي في ظلم الناس والعدوان على حقوقهم واستباحة كرامتهم، إن اطمأنوا إلى أنه سيتم التسامح مع جرائمهم حين ينتهي دورهم أو يلفظهم مشغلوهم. فلا لقمة العيش ولا الخضوع لأوامر المتبوعين ولا غيرها من تبريرات الأخسرين أعمالاً ستكون محل نظر وقبول في ميزان السماء، وينبغي أن تكون كذلك في موازين الأرض كلها، وفي منهج التعامل مع المعتدين والظالمين والمفسدين في الأرض.

لا حياد بين الحق والباطل

أ. زياد عبد الله طروه
ماجستير في الفقه والتشريع - إمام وخطيب

الحمد والثناء لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ:
أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى منَّ على الإنسان بنعمة العقل؛ ليميّزه عن سائر المخلوقات، وجعل العقل مناط التكليف، وذلك من أجْل أن يميّز به بين الحق والباطل. فالشريعة الإسلامية جاءت بمقاصد عظيمة من أجل احترام سيادتها وتطبيق أحكامها، وحتى تحترم سيادة التشريع فلا بد من معرفة سبل الهداية التي توصل إلى التشريع الإسلامي من أجل قطع الطريق على الناس في إقامة الحجة عليهم يوم القيامة وهذه السُبل هي: الفطرة والعقل والرسل.

فالله سبحانه فطر الناس على التوحيد والحق وجبلهم على ذلك، قال تعالى:﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ الروم (30)، فدلالة الآية: تبين أن الإنسان منذ خلقه وهو مفطور على الحق واتّباعه، فإن لم يهتدِ الإنسان إلى الحق بالفطرة، يأتي دور العقل للتفكر في ملكوت السماوات والأرض، فعقل الإنسان يدله على أن إبداع هذا الكون، لا يمكن إلا أن يكون له خالق وهو الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ النحل (12). فدلالة الآية: تأمرنا بالنظر في كتاب الله المنظور وهو الكون للوصول للحق. فإن لم يهتدِ الإنسان بفطرته وعقله إلى الحق، يأتِ دور إرسال الرسل بالهداية والمعجزات والكتب السماوية، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (المائدة 19). فالآية تدل: أن الله يرسل الرسل ليقيموا على الناس الحجة بالكتاب المسطور وهو القرآن، وخاصة بعد ما انحرفت فطرتهم عن التوحيد وانتكست، وتعطلت عقولهم عن التفكير وغلب عليهم الهوى والشيطان.

وبعد هذا التأصيل الشرعي، كان لا بد أن يعرف المؤمن أن الله أعطاه الفطرة السليمة والعقل الرشيد وأرسل له الرسل مؤيدين بالكتب والمعجزات؛ من أجل أن يميز بين الحق والباطل وعليه أن يعلم أن الحق والباطل لا يلتقيان، فالصراع بينهما قائم، وعليه أن يكون واضح البيان والتبيان في نصرة الحق، فالحق أحق أن يتبع، فالمؤمن الحق الرباني يجب عليه الوقوف بجانب الحق ونصرته بحسب قدرته، وتكون نصرته للحق وأهله حسب قدرته واستطاعته، إما بالمال أو السنان أو البنان. فلا يقبل أن يكون المؤمن إمعة يوجه كالغنم، بل له عقيدة وشريعة ترسم له الطريق للتفريق بين الحق والباطل، ليقف بجانب الحق، ولنا بصحابة رسول الله ﷺ، أسوة حسنة.

فهذا بلال وعمار وخباب وغيرهم الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، رغم ما واجهوه من العذاب في بداية الدعوة، إلا أنهم ثبتوا على الحق. فلما علموا طريق الحق اتبعوه ونصروه رغم ما لحقهم من إيذاء ظاهر، ولم يقفوا موقف الحياد، لأن الحياد في نصرة الحق هو النفاق بعينه، فعلى المسلم أن يكون واعياً مدركاً في التفريق بين الحق والباطل، ولا ينبغي للمؤمن أن يقف موقف الحياد من أجل لعاعة من الدنيا كمنصب أو وظيفة أو غيرها من سفاسف الدنيا الفانية.

فالصحابة تركوا أوطانهم وقدموا أموالهم من أجل الوقوف مع الحق، ولم يؤثر عنهم أنهم وقفوا موقف الحياد أمام الحق، وهذه الحقيقة لا تقبل التردد أو الحياد؛ بل يجب أن يكون المؤمن دائماً مع الحق أينما كان، ومع الحق من أي جهة جاء، وأن يكون بعيداً عن الباطل في جميع الأحوال. وتأكيد هذه الحقيقة ليس أمراً يقتصر على النصوص الدينية فحسب، بل تتجسد في أحداث العالم المعاصر، مثل ما يحدث اليوم في فلسطين، حيث يُجسد الصراع الدائر بين الحق والباطل في أبشع صورة من صور النفاق.

إن القرآن الكريم يوضح لنا الفرق الجوهري بين الحق والباطل في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: 81). فدلالة الآية: تبيّن للناس أن الباطل لا يُمكن أن يستمر، بل هو في طريقه إلى الزوال حتماً، بينما الحق هو الثابت الذي لا يتغير ولا يتأثر بتقلبات الزمان والمكان. كما وتنبّه الآية المسلمين إلى ضرورة الوقوف إلى جانب الحق مهما كانت التحديات، فلا مجال للحياد في معركة الحق والباطل؛ لأن الحياد هو قطعاً نصرة الظلم والجور والقهر والطغيان والفساد والاستبداد على الحق. فالمؤمن دائماً مع الحق لا يقبل الحياد، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالقضايا التي تمس الدين والعقيدة. فالمؤمن يجب أن يكون له موقف واضح وصريح من الأحداث التي تحدث حوله، ويجب أن يكون مبدؤه في ذلك هو معايير الحق التي وضعها الله ورسوله ﷺ.

فالصراع في فلسطين من أبرز الأمثلة التي تعكس عدم وجود حياد بين الحق والباطل، فكيف للمؤمن أن يقف موقف الحياد فيمن يسلب أرضه وكرامته منذ عقود طويلة، وسط تجاهل عربي دولي منظم ومرسوم. فلا مكان للحياد بين الحق الفلسطيني وباطل المحتل ومن لف لفيفه. إن موقف المؤمن يجب أن يكون مع الحق الفلسطيني، الذي يتماشى مع قيم العدالة التي دعا القرآن الكريم لها، كما في قوله تعالى: ﴿يُحِقُّ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ وَإِنَّ بَاطِلًا كَانَ زَهُوقًا﴾ (القصص: 39). فدلالة الآية: تشير إلى أن الحق سيظل قائماً لا محالة وإن غابت شمه بسبب الظلم والجور، إلا أنْ الباطل سيتلاشى مع مرور الزمن ويزول بإذن الله سبحانه.

وخلاصة القول: إن التمييز بين الحق والباطل ليس أمراً عابراً، ولا أمراً بسيطاً في حياة المؤمن، بل هو ركن أساسي من أركان عقيدته سطره الله في كتابه، وجاءت أخباره في سنة نبيه ﷺ، وأحوال السلف من بعده. فلا مجال للحياد بين الحق والباطل في شريعة الإسلام. فالوضع اليوم في فلسطين هو تجسيد حي لهذه الحقيقة، حيث لا يمكننا الوقوف محايدين أمام ظلم الاحتلال وإجرامه في قتل أبناء شعبنا والنزول عند نزواته بوعوده الكاذبة، بل يجب على المؤمن الحق أن يكون مع أهل فلسطين في قضيتهم العادلة، ضد الإجرام والبغي والظلم والطغيان، من أجل إحقاق الحق ودحر الباطل، وإرجاع الحقوق لأصحابها بإذن الله رب العالمين.

بَينَ الإفكِ والعَـصـا

أ. يوسف الفقهاء
ماجستير في الدراسات العربية المعاصرة

هكذا يبدو المشهد في أتون الحرب: غزّة تحمل عصاها أمام البحر، وتحاصرُ حصارَها، وترفض الرحيل. ووراءَها صهيون وجنوده وقد "أرسلوا في المدائن حاشرين". الذين نجوا بالأمس مِن فرعون بقيادة موسى عادوا اليومَ عبر الضفّة الأخرى يحاصرون موسى، يقودهم فرعون، لأنّ موسى ناصَب عِجلهم العداء، ونسفه "في اليَمّ نسفًا"، والذين واجهوا النازيّة بالأمس عادوا اليومَ مسلّحين بكلّ أدوات النازيّة، لأنّ "شعب الله المختار" هو وحده مَن يحقّ له أن يعادي الله، ويستعلي على "الأغيار" محتكرًا حقَّ العنصريّة، والبناء على أنقاض الشعوب.

قديمًا أغرق فرعونَ إصرارُه على تحقيق النصر المؤزّر، فلم يُرضِه إلّا إفناءُ أعدائه، واستئصالُهم. كانت ثقتُه بقوّتِه وضعفِ خصمه مَقْتَلَه، فتقدّمَ الجندَ بنفسه ليلاحق مَن وصَفَهم بأنّهم "شرذمةٌ قليلون" إلى ما وراء البحر، فكانت النهاية: "فأخرجناهم مِن جنّات وعيون وكنوز ومقام كريم"،"وأنجينا موسى ومَن معه أجمعين ثمّ أغرقنا الآخَرين".

واليوم تستدرج غزّةُ فرعونَ صهيونَ نحو البحر، لكنْ لا غزّةُ تريد العبور، ولا فرعون يجرؤ على اقتحام البحر رغم ما يتظاهر به مِن بأس وقوّة، ورغم قوله: "وإنّا لَجميعٌ حاذرون"، وإذا قيل: "إنّا لَمُدرَكون"، قالت غزّةُ: "كلّا إنّ معيَ ربّي سيهدين". ستضرب بعصاها البحر ليعبرَ الفجرُ، ولتأتي بالبحر إلى صهيون. أمّا نحن، فمُنزَرِعون ها هُنا كصخرِ الشاطئ العنيد بانتظار المواجهة الحاسمة القادمة. نضربُ بعصانا البحرَ، ونتركُ البحرَ رَهوًا "إنّهم جندٌ مُغرَقون"، ولْتَعبُرْ أيُّها الفجرُ بحرَنا "لا تخافُ دَرَكًا ولا تخشى".

تصبحُ هزيمةُ الطّغيانِ واردةً، مُحتَمَلةً، محتومَةً حينما يَثِقُ أنّ هزيمتَه غيرُ واردةٍ، أو مُحتمَلَةٍ؛ لأنّ مَن يستبعدُ الهزيمةَ يتركُ لها البابَ مُشرَعًا دون أن يدري، فتأتيه الهزيمةُ مِن حيثُ تَوَقّعَ النّصر.

في سورة الشّعراء يبدو فرعون وأعوانُهُ واثقين من انتصار السّحَرَةِ، غيرَ متوقّعين للهزيمة، فيجمعون النّاس لحضور المواجهة بين موسى - عليه السّلام – والسّحَرَةِ على قاعدةِ " لعلّنا نتّبعُ السّحَرَةَ إن كانوا هم الغالبين". كما يبدو السّحَرةُ واثقين مِن انتصارهم، غيرَ متوقّعين للهزيمة، فيسألون عن أجرهم بعد إحراز النّصر قائلين:" أئِنَّ لنا لأجرًا إن كنّا نحن الغالبين". ثمّ يُلقون حبالهم قائلين:" بعزّةِ فرعونَ إنّا لَنَحنُ الغالبون". اللافت ههنا أنّ احتمال الغَلَبَةِ واردٌ باعتباره الاحتمال الوحيد، فلا الذين جمعوا النّاس قالوا: لعلّنا نتّبعُ الغالبَ من الطّرفين، ولا السّحَرَةُ سألوا عن جزاء الهزيمة سؤالَهم عن أجر الانتصار.

ومن النّاحية اللّغويّة، يلفتُ انتباهَنا أنّ عبارة كلا الطرفين جاءت مؤكّدةً مرّتين: بالضميرين المنفصلين (هم) و (نحن)، وبالتّعريف (الغالبين) و (الغالبون). بل إنّ السّحرة أضافوا إلى التوكيدين ثالثًا، فرابعًا حينما احتدمت المواجهة، فأضافوا حرف التّوكيد (إنّ) واللام المزحلَقة " إنّا لَنحنُ الغالبون"، ممّا يَشي بتلك الحالة النّفسيّة التي يحياها هؤلاء؛ فهم حاسمون في اعتقادهم أنّهم الغالبون، يتضافرُ في التّعبير عن ذلك لسانُ الحالِ ولسانُ المَقال.

وبقدر ما كانت الهزيمةُ مستبعَدَةً، كان السّقوطُ مُدَوّيًا، وكان وجهُ النّصر باديًا ناصعًا، فلم يعترف السّحرة بالهزيمة فحسب، بل انتقلوا مذعنين من الكفر إلى الإيمان "فأُلقيَ السّحَرةُ ساجدين" في اعتراف صارخ بانتصار المستضعَفين وهزيمة المستكبِرين، وإذا كانوا انتظروا النّصر " بعِزّة فرعون " فقد أثبتوا، بهزيمتهم وإيمانهم، ذلَّ فرعونَ، فذلَّ فرعونُ، وسقط السّحَرَةُ إلى الأعلى حينما هُزموا سَحَرَةً، فانتصروا مؤمنين .

وفي كلّ زمـــان
طغاةٌ واثقون يُهزَمون
وسحرةٌ سيسـجُدون
فَمَن ذا يُلقي عصاه "تلقَفُ ما يأفكون"؟؟

دور علماء الأمة في مواجهة الظلم

د. طلب عبد الفتاح أبو صبيح
دكتوراه الفقه وأصوله

أصل الظلم الجَور ومجاوزة الحد، ويعني وضع الشيء في غير موضعه. وهذا المعنى يشمل حركة الإنسان في المجالات كافة.

ولما ورث العلماء الراية من الأنبياء، وجب عليهم مواجهة الظلم، فلهم عند كل جَور دَور، وبرز دورهم في صد العدوان على أرض الإسراء منذ مطلع القرن الماضي، ولا زالت تحمل اسم العلم الذي هاجر من جبله إليها ليسقي تراب يعبد فخلد التاريخ اسمه، وفي عام النكبة توالت مواكب العلماء دفاعا عن أرض الإسراء وظهر اسم الشيخ عبد القادر الحسيني حتى لقي ربه في الثامن من نيسان لعام 1948 في القسطل، بعد خذلان النظام العربي له وتركه يواجه الإنجليز وحده، وأرسل البنا جُندَه فأبلوا بلاء حسنا، ولكنهم خُذلوا كما خذل الحسيني، وانتظرت أعواد المشانق عودتهم.

وقبل عشرين سنة لم يستسلم الشيخ القعيد لمرضه، فكان رمزا في مواجهة العدوان، فما لانت له قناة ولا حنى جبهته أمام الغزاة؛ حتى لقي ربه فجرا بعد الاعتكاف في مصلاه في الحادي والعشرين من آذار 2003، وحمل الراية في كل بلد علماؤها دفعا للظلم، والقائمة تطول.

مجالات الظلم :

دخل الظلم على مجتمعاتنا من الأبواب كافة، مما يوجب على العلماء تنظيم صفوفهم وتوزيع أدوارهم وتحديد تخصصاتهم، وبغير هذا يبقى الأداء ارتجاليا، والنتيجة محدودة، فوجب تأهيل من يصلح للوقوف عند الأبواب المستهدفة، لأداء أمانة اعتذرت عن حملها الجبال.

فلقد وزع الظلمة أدوارهم، الاجتماعية، والتعليمية، والإعلامية، والاقتصادية، والثقافية، والتاريخية والفنية وغيرها فبسطوا نفوذهم ووظفوا جنودهم، وطعنوا في دينكم، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ)[الأنفال: 36]، والمعركة لم تنته، لذا؛ حذرنا فقال : (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا)[البقرة:217].

وعلى العلماء تذكير الأمة أن دولة الظلم ساعة حالكة، مرَّة، لكنها لن تدوم وإن طالت، فوعد الله لرسله وجنده وعباده بالنصر والتمكين لا ريب فيه، والاستعانة بالله سر نجاح العالم وقوته، فدعوة المظلوم مستجابة لقول النبي: "واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب". وفشو الظلم علامة على قرب زوال دولته؛ لقوله تعالى : (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا)[الكهف:59]، ولهذا، يجب تحصين الجميع، فمكر الظلمة عظيم (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)[إبراهيم: 46].

ففي المجال التعليمي: يجب أن يكون المنهاج والمعلم ضمن اهتمام العلماء، لنحمي النشء من الغزو، وصلاح المنهاج لا يكفي إذا أفسدوا المعلم.

وفي المجال الإعلامي: يجب تحصين الإعلاميين، كي لا يكونوا بوقا للظلمة، وتزيين مخططاتهم، فهذا كان عمل سحرة فرعون.

وفي المجال الخيري: ينبغي ألا يترك الأمر للظلمة فيسرقوا حقوق المساكين، فهم يحرصون على ألا يؤول هذا الأمر لغيرهم.

وفي المجال الثقافي سبيل الظلمة فيه مرئي، لنشره ثقافة العري، على منهج كبيرهم (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا)[الأعراف: 27]، فغزوا وسائل التواصل ليغزونا.

وفي المجال الاقتصادي: هاجمونا بالربا ومؤسساته، والبديل الشرعي لم يسلم من التشويه والتشكيك، والدفاع عن الفكرة وتأهيل العاملين واجب على العلماء والدعاة، ولهذا نرى سيطرة على المؤسسات والشركات الكبرى في المجتمع فالمال عصب الحياة وقوامها.

وفي المجال الفني: سلبوا عقول كثير من الناس، فوجب على العلماء إيجاد البديل المنافس، وإلا فقد أعدَّ الظلمة للأمر عدته وسخروا له أموالهم، ولهذا؛ على علماء كل بلد أن يحددوا واجبهم وفق فقه الأولويات والمآلات والموازنات، ليحصدوا ما زرعوا ولا يحصده غيرهم.

انصُرْ أَخاكَ مظلُومَاً

أ. حسن عبد الله معتوق
ماجستير الفقه والتشريع

يسمُو الإسلامُ العظيمُ بالإنسانِ، فيُكرّمُهُ، ويحترمُ إنسانيّتَهُ، ويصونُ حقوقَه، ويمنحُهُ المنهجَ القويمَ، الذي ينالُ بهِ السّعادةَ في الدُّنيا، والفوزَ والفلاحَ في الآخرة، قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا " [الإسراء: 70]

ولكنَّ الإنسانَ قد يقعُ فريسةً للظُّلمِ، لأسبابٍ مُتعدّدةٍ، وظروفٍ طارئةٍ، خارجةٍ عنِ المنهجِ الرّبّاني، ولحظاتٍ تُحتجبُ فيه قوانينُ الشّرعِ الحنيفِ، ليحلّ محلّها، انتهازيّةُ الأطماعِ، وهتكُ المُقدّساتِ، وسلبُ المُقدّراتِ، والتّغوّلُ الأعمى على الممتلكات، ويغدو الفسادُ مُتطاولاً بكلّ أدواتِهِ، وينحسرُ الحقُّ بأهلهِ، وآثارِهِ، عندها يجبُ أن تتبدّى حقائقُ الإيمانِ، وفرائِضُ الدّينِ، التي في مُقدّمتها:

1- نحنُ مأمُورونَ بإقامةِ العدلِ دون ذكرِ تفاصيلِ الكيفيّاتِ، حتّى يجتهدَ البشرُ فيها بما يوافقُ زمانَهُم، ومكانَهُم، وإمكانيّاتهِم، وهذا من تيسيرِ الله تعالى ورحمتِهِ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾]النحل :90]

2- نُصرةُ الحقِّ فرضُ الوقتِ وعبادةُ الأولى، التي لا يُنازِعُهَا أيٌّ فرضٍ، وتُقدَّمُ على غيرِهَا، قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: " ... ولأَنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ؛ أَحَبُّ إليَّ من أن أعتكِفَ في هذا المسجدِ -يعني: مسجدَ المدينةِ- شهرًا..."

3- نصرةُ المظلومِ أمرٌ يُعطَى كرائمَ الأوقاتِ ومتنها، لا فضلَهَا أو هامشَهَا؛ لِحَسرِ مدِّ انتشارِ الظُّلْمِ، وردعِ أهلهِ، وقمعِ تطاولِهِ؛ حتّى لا يتعالى فيتّسعَ الخرقُ على الرّاقعِ، وتقلُّ حيلةُ المؤمنِ، وتضيق عليه الوسائل.

4- كُلفةُ نُصرةِ الحقِّ، أقلُّ من كُلفةِ الاستسلامِ للظُّلمِ، وردعُ الظَّالمِ أهونُ ثمناً -مهما بلغ- من أثمانِ الإذعان، والتعذُّرُ بأعذارٍ تزيدُ سوءَ الحال، وتؤسّسُ لحالةٍ من الانهزاميّةِ والرّكون.

5- نصرةُ الحقِّ ونصرةُ المظلوم، وقايةٌ خاصّة، وعامّة، يحمي بها المؤمنُ نفسَهُ، من ذنب القعودِ والعجزِ، والاستسلام، ويحمي حُرُماتِهِ، من أن تصلَ إليهَا يدُ الظلمَةِ، التي لن تكتفيَ بأخيه، بل ستطالُهُ، طالَ الزّمنُ أمْ قَصُر، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:25]، وهي عامّةٌ في مجتمعٍ متماسكٍ، سيحافظُ على مُقدّراتِهِ، وديمومتِهِ، وسعادتِهِ.

وقد أخذَ الخِطابُ بِنُصرَةِ المَظلومِ في ديننا العظيم، صيغةَ الفرديةِ الشخصيّةِ المُباشرة، كي يحملَ همَّ الحقِّ، ومسؤوليَّةَ نُصرةِ المَظلومِ كُلُّ فردٍ منّا، ولا يخطرُ ببالِهِ، أنَّ التكليفَ به مناطٌ بغيره، قال (عليه السلام): " انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، هذا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكيفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ" رواهُ البُخاري.

ففـي الخطابِ المُباشـر، غُنيةٌ عظيمـةٌ فـي معانٍ تحمُّـلِ الفـردِ بعينِـهِ، مسـؤولية النُّهـوضِ بنصـرةِ أخيـه، وإرجاعِ حقّـهِ، وهـو بذلـك خطابٌ للهيئـة المُجتمعيَّة كاملـةً، تبعـثُ علـى إيجادِ الوسـائِلِ التـي يشـتركُ فيها الجميـعُ، فيشـكّلونَ قـوّةً فـي وجهِ الظّلـمِ، يصعُـبُ التّغلُّـبُ عليها، أو الإطاحةُ بها، وتوحيدُ الفكـرِ، والـرأي، وعـدمُ تـركِ الأمـر للاجتهـادات الفرديّـة، التـي قد تصيب أو تُخطئ، ورأي الجماعة لا يُختلفُ على أنّهُ أصوبُ.

وأهمُّ الوسائلِ التي يجبُ أنْ تُتَّبَعَ في نصرةِ المظلومِ، فرديّاً وجماعيّاً:

1- **الكلمـة:** وهـي عنـوانٌ كبيـرٌ، بـل قـدْ يكـونُ الخطـوةُ الأخطـرُ؛ لأنَّ بـهِ بيـانُ الموقـفِ، ووضـوحُ الفكـرِ، ومفاصلـةُ الأطـرافِ، ومبتـدأُ العمـلِ، ومنطلـقُ المسـيرِ، ودعـوةُ الغيـرِ، وشـحذُ الهمـمِ، وشـدُّ العزائـمِ، وتوجيـهُ السُّـلوكِ، وتعريـةُ الظّالـمِ، وفضـحِ سـلوكِهِ وتصرُّفِـهِ، وكشـفُ أعوانِـهِ، وخلـقِ رأيٍ عـامٍّ مناهـضٍ للظُّلـمِ وأشـكالِهِ، ولذلـك يلجَـأُ الظّلمـةُ لمحاصـرةِ أهـلِ كلمـةِ الحـقِّ، ومصـادرةِ حقّهـم فـي الـكلامِ، وبسـطِ نفوذِهـم علـى وسـائل الإعلامِ بأشـكالِهَا، وتفعيـلِ الرّقابـة عليهَـا، بمـا يضمـنُ لهُـم نشـرَ سـرديّتِهم الخاصّـة، وتقديـمِ وجـوهٍ مُزوَّرةٍ تدّعـي العلـمَ وتتفيقـهُ باسـمِهِ؛ لتسـويقِ رواياتِ الظّلَمَةِ، وتبريرِ أفعالِهم.

2- **المـال:** وهـو شـكلٌ منصـوصٌ عليـه مـن أشـكالِ الجهـادِ، الـذي يُنصـرُ بـهِ المظلـومُ، وتقـوى شـوكةُ الحـقِّ وأهلِـهِ، ويملِـكُ مـن أدواتِ النُّصـرَةِ، مـا يحمـي بـه الفـردَ والمجتمَـعَ، ويـردعُ بـه الظّالـمَ. قـال تعالـى "انْفِـرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِـدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِـي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُـونَ" [التوبـة: 41] ،ويجـدرُ القـولُ بـأنَّ المـالَ المبـذولَ هُنـا ليـسَ منّـةً بـل قـد يكـونُ فرضـاً مُتَعَيِّنـاً علـى كُلِّ قـادرٍ، وفـْقَ سَـعَتِهِ، بمـا يتوافـقُ مـع الظّـرفِ العـامِّ الـذي تمـرُّ بـه الأمّـةُ، وقـد ضـربَ سـلفُنَا الصّالـحُ أروعَ الأمثلـةِ، فـي اسـتخدامِ المـالِ فـي نصـرةِ المظلـومِ، كحـالِ الصّدّيـقِ (رضـي اللـه عنه) الذي أعتقَ الرّقابَ، وجهّزَ الجيوشَ، وخدمَ الدّعوةَ.

3- **النَّفْـس:** وهـذا أمـرٌ يتربّـعُ علـى قمّـةِ أشـكالِ الفعـلِ المُباشِـرِ، بتسـخير شـتّى الإمكانيّـاتِ، واغتنـامِ كُلِّ السّـاحاتِ، حتـى نصـلَ فـي نصـرةِ المظلـومِ إلـى المواجهـةِ المُباشـرَةِ، وبـذلِ أعلـى أنـواعِ التّضحيـاتِ وأسـماها، لأنَّ المقصـدَ إحقـاقُ الحـقِّ، ورفـعِ الظُّلـمِ، وردعِ الباطـلِ، وهـذا لا يتأتّـى للأُمّـةِ، إلّا بإرخـاصِ النّفـوسِ، وبذلِهـا. والشُّـحُّ بالنّفـسِ سـاعةَ الحاجـةِ، والاضطـرارِ، قعـودٌ مَذمـومٌ، وَجبْـنٌ كريْـهٌ، يترتّـبُ عليْـهِ اسـتباحةُ الظلمـةِ لـكلِّ مـا وصلـت إليـهِ أيديهـم، وتماديهـم، وغطرسَـتِهِم، وتحويـلِ أفـرادِ الأمّـةِ إلـى جمـوعٍ مـن المُسـتضعفينَ المظلوميـنَ المقهوريـنَ، غابـتْ عِزّتُهُـم، وانكفَـأتْ قوّتُهُـم، وكُسـرَتْ شـوكتُهُم، وضاعـتْ حقوقُهُـم، وذهبـتْ هيبَتُهُـم، ودونَ حـدوثِ ذلـكَ يهـونُ كلُّ شـيءٍ. قـالَ تَعَالَـى: " وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِـي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِيـنَ يَقُولُـونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا" [النساء:75]

ختامـاً، تُـدركُ الأُمّـةُ بمجموعِهَـا، ومـن خلالِ النُّصـوصِ الثّابتـة، مـا للظُّلـمِ مـن عواقـبَ، ومـا لانتشـارِهِ مـن مهالـك علـى الأصعـدة كافّـةٍ، وآنَ لهـا أنْ تسـتعيدَ زِمَـامَ المُبـادرَة، وتنتهـجَ طريـقَ الفعـلِ، لتترجـمَ المبـادئَ والقواعـدَ إلـى أفعـالٍ، غيـرَ آبِـهَةٍ بالتكاليـف، بـل عاملـةً بالتكليـف؛ حتّـى تُبصِـرَ صُبحَهَـا يتنفَّـسُ العـدلَ علـى امتـدادِ صروحِهَـا، وعلـوِّ قبابِهَـا ومآذِنِهـا، وجمـوعِ شـعوبِهَا، وكلُّ ذلـك مرهـونٌ بعزيمتِهَـا، وفهمِهَـا، وفعلِهَـا، واسـتقلاليَّةِ قرارِهَـا، وسـيادَةِ أمرِهَـا. قـالَ تَعَالَـى: " وَيَقُولُـونَ مَتَـى هُـوَ قُـلْ عَسَـى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً" [الإسراء :51]

الدين المعاملة

أ. ثائر عبد المجيد أبو خرمه
خطيب وإمام شرعي

الإسلام هو الدين الذي وضعه الله تعالى للناس بقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}، ومعنى الإسلام التسليم لأوامر الله تعالى وتوحيده وطاعته وترك الشرك، ولهذا الدين ثلاث مراتب، وهي: الإسلام والإيمان والإحسان، هنا نبين معنى الدين المعاملة، بالإضافة لذِكر مُعاملة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم، ومنهجه صلى الله عليه وسلم بالتعامُل مع الأعداء. معنى الدين المعاملة يتمحور حول التعامُل بسلوك حسن طريقةُ التقرب إلى الله تعالى، والمُعاملة الراقية تُعطي انطباعًا جيدًا للمُسلم بتمسُكِهِ بالعقيدة الإسلامية، والتعامل بصورة راقية يحتاج لأخلاق عالية، وقد جاء في قوله تعالى: {إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

وفي حياة النبي الكريم يجد المُسلم أشكالًا مُتعددة من خُلق النبي الكريم مع الناس باختلاف منازِلهم ودياناتِهم، وينبغي للمُسلم لتطبيق معنى الدين المعاملة أن يبتعد عن الاستهزاء بالآخرين ويحاوِرهُم دون تكبُر أو تجريح أو غرور، وكذلك تجنُب تسفيه الناس بالفعل والقول والسلوك، بالإضافة لعدم الاستعلاء في التصرُفات والكبر، وعلى المُسلم أن يُدرك أن الصفات الحسنة والتعامل اللطيف لا يُصنف بقائمة ضُعف الشخصية وإنما هي مُعاملة حسنة حث عليها الدين الإسلامي. ومعنى الدين المعاملة لا يحتمل تصرفات غير مسؤولة من أشخاص لهم مكانتهُم الدينية والاجتماعية لأن التصرف الواحد قد يكون سببًا لدمار المُجتمع بأسره وإفساده ، والمُعاملة الحسنة مطلب من أفراد الأسرة كافة؛ وعلى الوالدين تعليم هذا النهج للأولاد، لأن الخير في الأُسرة ينعكس على المُجتمع ككل، وبحال دُمرت الأُسرة أخلاقيًا رُبما يأتي زمن يتطاول به الابن على والديه ويُهينهُم، وقد يورث التصرف السيئ لأبنائه وبهذا يُدمر المُجتمع، ولإدراك معنى الدين المعاملة على المُسلم أن يلتزم طريق الحِكمة لمُعالجة الأخطاء، والمُعاملة بفروعِها تعود على صاحبها كما هي وأكثر، فالحسنة تُرد بمِثلِها وفيها أجر وثواب، والسيئة بمِثلِها ومعها الإثم والعقاب. ويُعد القرآن الكريم منهج حياة بإمكان المُسلم الاستفادة منه في المعاملة مع الآخرين ، ففيه يجد المُسلم الباحث عبادات النبي الكريم وأخلاقه وتعامله، فقد كان بين الناس قُرآنًا يمشي وقرآن ناطقا، والجدير ذِكره أن العِبادات تنقسم إلى قسمين :

الأول تعبّديّة، وهي: الفرائض من صلاة وصيام وزكاة وحج البيت وغير ذلك. والقسم الثاني: عبادات تعامُلية، وهي: أخلاق التعامُل مع الناس كالصِدق والأمانة والعدل وتقديم النصيحة والعفو عند المقدرة والإحسان وغيرها من الأمور، ومن أراد النجاة ودخول الجنة عليه بالجمع بين العبادات والمعاملات؛ لأن اختيار واحدة من العبادات لا يكفي أبدًا.

معاملة النبي – صلى الله عليه و سلم– لأصحابه

المُعلم الأول الذي أدرك وأتقن معنى الدين المعاملة هو النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ، الذي كان يُعامل أصحابه بناءً على أوامر الله تعالى دون زيادة أو نُقصان، وجاء في قوله سُبحانه وتعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}، الآية الكريمة حثت خاتم الأنبياء على أمور في مُعاملته للصحابة -رضوان الله عليهم- أولها الرحمة، ومن أشكال رحمته معهم رفقه بهم وصبره على تعليمهم، بالإضافة لابتسامته في وجوههم، أما غضبه فكان لا يُظهرهُ إلا في مرضاة الله تعالى وحفظ الدين. والأمر الثاني استغفاره للصحابة -رضوان الله عليهم- ولمن تسبب في غضبه، أما ثالث الأمور التي حثت عليها الآية الكريمة الشورى؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم طبق الآية بحذافيرها، فلم ينفرد بالرأي لوحده دون الرجوع إلى أهل الخبرة والتجارُب وإبداء الرأي، ومن الأمثلة على الشورى، مشاورته لأصحابه يوم غزوة بدر وفي غزوة الخندق و صلح الحُديبية وغيرها من الغزوات ، ولأن النبي -صلى الله عليه واله – قدوة المُسلمين ينبغي على أفراد المُجتمع الإسلامي السير على خُطاه بالتحلي بالصبر والمُعاملة الحسنة والمشورة للوصول للمراد وهو معنى الدين المعاملة.

منهج تعامل النبي مع الأعداء

معنى الدين المعاملة ليس فقط بالتعامل مع أخوة الدين فحسب وإنما بالمُعاملة مع الأديان الأُخرى والأعداء، وخير من طبق هذا الأمر نبي الرحمة -صلى الله عليه و سلم– فحياته مليئة بالنماذج في كيفية التعامل مع الأعداء، فلم يظهر بتاتًا من هو أرحم منه مع أعدائه رغم الأذى الذي تعرض له، ولذلك فقد كان وما زال مِثالًا يُدرس في الأخلاق العالية والذوق الرفيع، ومن الأمثلة على ذلك وضعه لميثاق يُرضي جميع الأطراف فور وصوله إلى المدينة المنورة، فصنع مُجتمعا مُترابطا قويا رُغم وجود يهود بالمكان، ونزع ما كان بين الأوس والخزرج في الجاهلية، وآخى بين المهاجرين والأنصار. وفي يوم بدر أسر المسلمون سبعين رجُلًا من قُريش وكانت وصية النبي الكريم لأصحابه: "استوصوا بالأسارَى خيرًا"، كما أصفح عن عمير بن وهب الذي أراد قتلهُ عقب غزوة بدر، ويُعد يوم فتح مكة من أبرز حالات العفو التي أصدرها نبي الرحمة عندما صفح عن أهل مكة المكرمة رغم تعرُضِه للأذى منهم في بدايات الدعوة الإسلامية (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، وهذا درس حقيقي لمقولة:" العفو عند المقدرة"، وكانت دعوته تعتمد على اللُطف، وكان دائمًا يحرص على الأمة ويتحسر على الذين لم يؤمنوا وينقذوا أنفسهم من نار جهنم.

صحة حديث الدين المعاملة

معنى الدين المعاملة يُحتم التعريج على صحة حديث الدين المعاملة، بالواقع أن الدين المعاملة ليس حديثا منقولا عن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم – وإنما من كلام البشر، والبعض يعتبره حديثا شريفا دون الرجوع إلى تخريجه، والأفضل أن يُصنف مَثَلاً، لأن فيه دلالة على دور الأخلاق في الدين الإسلامي، وهذا ما نصت عليه الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، ومنها قول النبي الكريم:" إنَّما بعثتُ لأتمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ"، والمُسلم يستطيع أن يُقنع الناس بالإسلام دون النُطق بأي كلمة وإنما بأفعاله وسلوكه، لأن مُعظم البشر يتأثرون بالفعل لا بالقول. فما أحوجنا اليوم في المعاملة الحسنة فيما بيننا كإخوة في الدين أولا قبل المعاملة مع الآخر وليس من الإخوان.

غزة... طوفان هادر

أ. مصطفى عمارنة
شاعر وأديب

يا غزة الثكلى من الخـــذلان
صبرا على الإجرام والعـــدوان

صبرا فإن الجرح فينا غائـــر
في هذه الأضلاع والوجـــدان

يا أمة باتت تقاتل وحـــدها
عن أمة مشلولة الأركـــانِ

عن أمة أمسى ضمير رجالـها
كجنائز سوداء في أكفـــان

يا طفلة مبتورة أطرافـــها
محروقة بالجمر والنيـــران

يا طفلة تحت الركام تمزقت
أوصالها في الرمل والكثبـــان

يا طفلة تحت الركام وما لها
من ناصر في أمة الخـــذلان

في عالم يغريه سيل دمائها
متبرئ من حرمة الإنســـان

مات الضمير فلا جراح تهـزه
في عالم يأوي الشيطـــان

لا نخوة فيه لصرخة طفلـــة
قد يتمت في مسمع الجيـران

إذ ليس للأطفال فيها منتخ
إذ يقتلون بذلك الإمعـــان .!

تبا لهاتيك العروش وذلـها
تبا لها ولهذه التيجـــان

ولكل أصحاب العمائم إنمـــا
هم أخوة الطاغوت والشيطان ..!